Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهم لا يختلفون فى إعجابهم بهذا المطلع ، وفى أنه من صفوة المطالع ، كما ينقل ذلك ابن رشيق[٢٥] بل يتحدث عنه ابن قتيبة بقوله (لم يبتدىء أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب)[٢٦] ، ولكنهم لم يحاولوا قط أن يقولوا لماذا كان بهذه الجودة ؟ أو ما الذى دعاهم إلى هذا الاعجاب به والحكم عليه ؟ ولئن كانوا قد حاولوا فى تعليل جودة مطلع امرىء القيس السابق محاولة غير موفقة فإنهم فى مطلع النابغة لم يحاولوا مجرد محاولة ، ومن الواضح أنهم اعتمدوا فى ذلك على ذوقهم وذوق مخاطبيهم ، ولكن ذلك لا يكفى ، بل ولا يصلح ، لأن الذوق نسبى ، وإذا لم يكن الذوق سليما صحيحا فإنه سيؤدى إلى فهم غير سليم ولا صحيح ، كما فعلوا فى تعليلهم جودة مطلع امرىء القيس .

وقد سبقت الإشارة إلى شىء من السوء فى فهم القدماء لنوعية هذا المطلع للنابغة ، من حيث إنهم عدوه ضمن مطالع الغزل ، مع أنهم لا يجهلون طبيعة شعر الغزل ، ولا يجهلون الدلالة المباشرة لهذا البيت فى بعده عن الغزل ، وإنما أتى سوء فهمهم له من جهتين ، إحداهما الركون إلى التقليد ، بمعنى أنهم يعدون كل مطلع فيه حديث عن المرأة غزلاً ، مهما كان نوع هذا الحديث ، وكل حديث عن الآثار والفراق بكاء أطلال مهما كان نوع الحديث أيضا ، وليس هذا من الدقة فى شىء ، والجهة الأخرى أنهم يتذوقون الشعر ويفهمونه وينقدونه لذاته دون ارتباط بنفسية الشاعر وأحداث حياته وواقعه ، وهذا أهم ما أبعد نقدهم أو تذوقهم عن الطريق السليم للوصول إلى قصد الشاعر وهدفه ، فسواء عرفوا حياة الشاعر أو لم يعرفوها فإن ذلك عندهم ليس ذا أهمية فى تذوقهم أو حكمهم على الشعر ، فمن الواضح أنهم يعدون الكلام قائما بذاته ، وكأنه كيان مستقل لا يحتاج إلى ربطه بغيره ، وحتى إن تحدث بعضهم نظريا عن الترابط أو الوحدة ، فإن شرحهم أو نقدهم لم يتجاوز النظرة الجزئية أو الموضعية ، باعتبار البيت كياناً مستقلاً غير مرتبط بباقى القصيدة ، واعتبار القصيدة كياناً مستقلاً غير مرتبط بحياة الشاعر أو نفسيته ، ولهذا فإنهم على الرغم من حديثهم كثيرا عن التفرقة بين شعراء البدو ، وشعراء الحضر ، وشعراء القبائل أو الطوائف إلا أنهم لم يطبقوا هذا عمليا فى نقدهم للشعر بصورة واضحة ، اللهم إلا فى نحو التفرقة بين المطالع ، من حيث إن شعراء البدو تختلف ابتداءاتهم عن شعراء الحضر[٢٧] .